شرود وشرود فأى الشرودين أولى بالعلاج ؟

للأستاذ الشيخ مصطفى الصاوى

إن أقدس واجب على الفرد وعلى الجماعة فى الشعب تصحيح شخصية ذلك الشعب . وتوفير أسباب السعادة لأفراده وجماعاته ، وذلك يقتضى أمرين : أولهما القضاء على العلل الاجتماعية الفاشية فيه ، وثانيهما تنشئة الجيل على نظام من الكرامة والخلق المتين .

وبهذين الأمرين فقط يمكن إيجاد شعب رفيع المقام ، عزيز الجانب ذى كيان قويم وسلطان عظيم . ومصرنا ذات التاريخ المجيد والحضارات التاريخية وبما لها من مركز جغرافى ومقام علمى ومركز دينى أجدر الشعوب بالعمل على تصحيح شخصيتها وتهذيب ما خلفته الأزمان الطويلة والأحداث المتتابعة فى نفوس أفراده وجماعاته من أمراض ومن أكبر الأخطاء التاريخية إغفال تلك الناحية حتى أصبحنا نرى علا اجتماعية وأمراضا خلقية نبتت ثم استشرت واستأسدت وتمكنت من روح الشعب حتى إنها لتكاد تفتك به .

ولا يليق بأمة أو شعب أن يزعم ارتقاءه أو يدعى اعتلاءه ، وهذه الأمراض تزحف عليه من كل ناحية وتنوشه فى كل جانب من جسده .

نحن لا ننكر الواقع . ولا نبرقع الحقيقة مادمنا نريد علاجا صحيحا ، فمن أسباب الشفاء أن يكاشف المريض الطبيب بدائه وينبئه عن سبب علله وأسقامه . ونحن لا ننكر أن فى مصر شرود ولا ننكر أن فى مصر فقرا كان سببا فى الشرود . ولا ننكر أن فى مصر جهلا كان عاملا من عوامل ذلك الشرود ولا ننكر أن فى مصر مرضا كان كذلك سببا فى الشرود . ولا ننكر أن ذلك الدلوث قد زحف بكلكله على الشعب وحاربه حربا لا هوادة فيها فى وقت خلت النفوس من تبيل التقاليد وطيب العادات فلم يلق مقاومة وإنما وجد السبيل ميسرا والباب مفتوحا فتوغل فى جسم الشعب فأنهكه فكان الشرود وغير الشرود من تلك العلل الاجتماعية التى نشهدها فى كل يوم وفى كل مكان .

إن الذى يعنينى الآن إنما هو الكلام عن الشرود وعن أنواعه وعن خطر كل نوع وبيان أى الأنواع من الشرود أولى بالعناية وأجدر بالعلاج : فهناك شرود الغلمان فى الشوارع والطرقات ، وهناك شرود الرجال من تحمل المسؤوليات وهناك شرود الشبان من تحمل أعباء الحياة ، وهناك شرود النساء من القيام بأمر البيت وتنظيمه وهناك شرود الفتيات من تأدية واجبهن كما يقتضيه الوضع الاجتماعى والنظام التقليدى الذى يجب اتباعه .

ولا مراء فى أن لكل نوع من هذه الأنواع عللا وبواعث كانت موجدة له ودافعة إليه فلا بد من القضاء على تلك الأسباب أولا لتنقطع مسبباتها .

أما أسباب شرود الغلمان : فأغلب الظن أنه راجع إلى فقر أوليائهم وجهل ذويهم أو قسوة معلميهم فهم لهذا قد هاموا على وجوههم .

وأما أسباب شرود الرجال من تحمل المسؤوليات : فراجع إلى ضعف إدارتهم وخنوعهم الى المصادفات وعدم تفكيرهم فى المصير وعدم اعتمادهم بأنفسهم فتبلدت طبائعهم وكتبت روح الطموح فيهم .

وأما أسباب شرود الشبان فرجع الى سوء التربية وعدم تقدير أمهاتهم لو جب الأمومة فلم يحسن توجيه أبنائهن .

وأما شرود النساء فالسبب فيه يعود الى فكرة تقليدية وزعم ممن بأن مدنية تنافى خدمة البيت والقوامة عليه وتدبير تلك المملكة الصغرى التى هى قوام المملكة الكبرى . وأن قوام التمدين والتحدث لا يكون إلا بالتعرف الى الموائد العربية التى تحتم عليهن التعرف إلى آداب المراقص والحفلات الأثيمة .

وأما شرود الفتيات : فأغلب الظن أنه لا يختلف عن سابقه كثيرا .

تلك هى أسباب الشرود ولا مراء فى أن كل نوع مما ذكرنا شرود كامل الأركان والصفات ولاشك فى أن كل نوع منها داء دوى يفتك بجسم المجتمع ويهدم من أركان الدولة .

فأى نوع منها أجدر بالعناية وأولى بالعلاج ؟

ليس من شك فى أن كل نوع منها أجدر من الثانى وأن مكافحة نوع دون نوع قصور وتقصير فوجد أن وحد الجهود كلها لتكافح تلك الأنواع بكل الوسائل ووجب أن يشرع قانون لهذا فاذا ما تم هذا فقد برئ جسم الشعب من تلك الأمراض ونشط ونهض .

وإنا لنحمد لوزارة الشؤون الاجتماعية عنايتها بمكافحة الشرود ونشكرها ولبعض الهيئات فى الدولة ذلك المجهود الذى يبذلونه فى مكافحة شرود الغلمان ونطالب اليهم فى حرارة أن يعنوا بعلاج الأنواع الأخرى من الشرود فإنها فى الحقيقة أكبر الأسباب فى شرود الغلمان وإذا قضينا عليها فقد قضينا على كل العلل وقصدنا على شرود الغلمان ، وإلا فما ذنب طفل حرم عطف أمه ورعايتها لأنها شردت من المنزل ، وحنان أبيه وتربيته وقد فر من المسؤلية ، وحرم عطف المجتمع وقست عليه الأقدار فنام على وجهه يلتمس الرزق ويفر من القسوة .

الجناية أيها السادة هى جناية الآباء والأمهات فقبل أن تنظروا إلى الطفل الشارد رتبوا حياته فلا يشرد ، وما ترتيب حياته إلا ايجاد الجو الصالح الذى يألفه ولا ينفر منه وذلك بالزام أمه المقام فى البيت وإلزام أبيه الاشراف على ذلك البيت وأذن نكون قد قضينا على الشرود بالقضاء على سبب الشرود .

إن قد ننتمس المعذرة لطفل قست عليه الطبيعة أذ حرم رعاية أبويه وقسا عليه المجتمع إذا لم يجد التراحم الانسانى متجليا فيه فشرد .

لكنا لا نلتمس المعذرة لرجل يظل طول اليوم خارج منزله ، سواء كان فى عمل أو فى غير عمل ، فاذا ما أقبل المساء عكف على المقاهى والملاهى ولا يذهب الى بيته إلا آخر الليل فيجد أولاده نياما و إذا أصبح خرج من المنزل وهم نيام كذلك .

لا ولا نلتمسها للام تترك أولادها و بيتها وتخرج الى السوق فلا توليهم عناية أو رعاية .

لا ولا نلتمس لشاب كل همه فى الحياة زى أنيق ومطعم شهى وقروش ينفقها فى شر الأمور ولا يريد أن يتحمل عبء الحياة فى شئ حتى يستعجل أمر الزوجة وأصبح دعاعيالا .

ما سمعنا أن بلدا من بلاد الله حافلة بالمقاهى والملاهى مثل مصر ، وما رأينا مقهى فيه مكان خال ابدا ، وقد يقضى الرجل فيه أغلب أوقاته و نحن نعلم أن الواجب المنزلى يقتضيه أن لا يفارقه لحظة من الزمان . و إنه لتشويش لوضع مجتمع يدعى حياة العزة و الكرامة .

لابد من ثورة عامة على تلك الأنواع ولا بد من حملة كفاحية تجند لها الأمة كلها متدرعة بسلاح التناهى والتوصى كما أمر الله .

و إذا كانت الحكومة تعنى الأمراض الجسدية فتجرد حملة للاوبئة وأخرى للتيفوس وثالثة للامراض الأخرى وعرضها للقضاء على تلك الأمراض فأولى بالشعب و بالحكومة أن تجند حملات وحملات لمكافحة تلك الأوبئة الخلقية . فليست هذه بأقل خطرا منها من الأمراض الجسدية .

ذلك لأن الشعب إذا فقد كرامة أفراده وكان - ايم الحق كان رفيع المقام ذا عظمة خالدة .

وأن الكثرة العددية وسلامة الاجساد مع مرض النفس وفساد الروح لهى أخطر داء على كيان الشعب .

بقى على أن أقول إن العلاج الذى اتبع فى الشرود الى الآن غير كاف ولدينا علاج أفضل منه وأسرع إلى الشفاء : فبعد أن نقضى على كل أنواع الشرود بالقضاء على أسبابها نقوم بمشروع كمشروع مدينة ذلك المشروع الذى قام به فرد واحد محتسبا لوجه الله تعالى يريد اختطاط الطريق المثلى للصالحين مشروع مدينة الفضيلة الذى أسس على نظام يكفل القضاء على الشرود والتسول والجهل والفقر لا ل يخلق جيلا جديدا على أفضل وضع إنسانى و يخلق شعبا ينافس أعظم شعوب الأرض ، فلسادا لا تتخذه نموذجا وتنسج على منواله وهو لا يكلف خزانة الدولة رهقا و يوجد انتاجا عظيما .

ان برنامج هذا المشروع يستقبل الطفل الشارد فيهذبه و يثقفه و يعلمه حرفة تكون عونا له فى المستقبل وثروة للحكومة . ولو اتبعت تلك الطريقة لما رأينا شاردا ولا محروما ، سائلا ولا فقيرا يدفع الناس الى الاجترام ، ثم لرأينا خزانة الدولة تمتلئ من المال . ولرأينا مع تكرار الزمن رجال الاعمال الكبرى متخرجين من تلك المؤسسات يرفعون من شأنها و يقدمون لها أكبر الثروات .

فى النفس آمال وفى الميدان متسع للعاملين .

مصطفى الصاوى